قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم: أحمد بهجت

ريشة: مصطفى حسين



دار الشروق

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

الطبعة الثانية

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

الطبعة الثالثة

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الرابعة

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى -
رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com

قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم: أحمد بهجت
ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق

تباعدَ اليهودُ عن تَعاليم التَّوراةِ التي نَزلتْ على موسىٰ عليه السلام ، حين هَجروا كثيراً من تَعاليمِه وأوامِرِه ، عندئذٍ وقعَ لهم ما يقعُ لكلِّ أُمةٍ تهجرُ كِتابَها أو تُضيعُ أَوامرَ نَبيِّها المُرسلِ . .

تَدهورتْ أَحوالُ بني إسرائيلَ عندئذٍ . . وهُزِموا من أعدائِهم . . وآستولى الأعداءُ على تابوتِ العهدِ ، وفيه بقيةٌ مما تركَ آلِ موسىٰ وَهارونَ ، وتَشرَّدوا في الأرضِ ، وطُرِدوا من دِيارِهم ، وساءَتْ أَحوالُهُم ، وشاعَ الـذُّلُّ بينهم ، وحكَمَهُم الضّعفُ ، ثم شاءَ الله تباركَ وتعالىٰ أن يَرحمَهُم فأَرسلَ إليهم نَبيّاً . . وبدأ هذا النبيُّ يَدعو قَومهُ إلى الله . .

وذات يومٍ ذهبَ كبارُ القومِ من بني إسرائيلَ إلى هذا النبيِّ وقالوا له : أَليس الله هو الذي بعثكَ إلينا ؟

قال : نعم .

قالوا له : أَلسنا مُشرَّدينَ ؟

قال : نعم .

قالوا : أَلسنا مَظلومينَ ؟



قال : نعم .

قالوا : لماذا لا تَسألُ أَن يبعثَ لنا مَلكاً يَجمعُنا تحت رايتهِ كي نُقاتلَ في سَبيلِ الله ونَستعيدَ حقَّنا ونُصلحَ ما فَسدَ من أَحوالنا ؟

قال نَبيُّهم : أَخافُ إن دعوتُ الله أن يَبعثَ لكُم مِلكاً يَدعوكُم إلى القتالِ ألا تُقاتِلوا .

قال كِبارُ القومِ : ولماذا لا نُقاتِلُ في سَبيلِ الله وقد أُخرِجْنا من دِيارِنا وأَبنائِنا ؟

قال نَبيُّهم : لن تَتراجَعوا لو حدثَ ما تَطلُبونَه ؟



قالوا : أبداً لن نتراجعَ . .

قال نبيُّهم : سوف أسألُ الله تعالى أن يختارَ لكم مَلِكاً تُقاتِلونَ تحت رايَتِه .

آنصرفَ القومُ ودَعا النبيُّ ربَّ العالمينَ أن يختارَ لهم مَلِكاً . .

في نفسِ الوقتِ . . خرجَ طالوتُ يَرعىٰ غَنَمه . . كان طالوتُ واحِداً من بني إسرائيلَ ، وكان قلبُه يَنطوي على الخيرِ ، وكان معه أحدُ فِتيانِه ، فآنشغلَ في حَديثٍ هامسٍ معَ الفتى ، فَشَردتْ غنمُه في السُّهولِ .

ثم آنتهىٰ حَديثُه مع الغُلامِ ، فنظرَ حولَه فلم يرَ الغنمَ ولاَ رأى الحميرَ . .
قال لِغُلامِه: لقد آستَغرقَنا الحديثُ فسارتِ الأغنامُ في الصحراءِ.. تعالَ نبحثُ عنها . .

آنطلقَ طالوتُ في الصحراءِ بحثاً عن قَطيعهِ ، فسارَ مَسافةً طَويلةً ، حتى إذا أَجهَدهُ التعبُ وآنحدرتِ الشمسُ نحو المَغيبِ ولم يجدْ غنمَه ويَئِسَ من العُثورِ عليها ، قرر أن يذهبَ إلى النبيِّ ليسألَه أين ضاعتْ . .

عادَ طالوتُ من الصحراءِ وشقَّ طريقَهُ إلى بيتِ نبيِّهم ودخلَ عليه . .

قال طالوتُ :أيها النبيُّ الكريمُ . . خرجتُ أرعىٰ الأغنامَ والحميرَ ، فَشردتْ مني في الصحراءِ ، ولم أَعرفْ أين ذهبتْ ، وقد جئتُ أَسألُك عنها . .

سألَه النبيُّ : هل تَحسُّ بالقلقِ على أغنامِكَ وحَميرِكَ ؟

قال طالوتُ : نعم . .

قال النبيُّ : لا تُشغلْ بالَك بها ، فقد عادتْ إلى بيت أَبيكَ . . دعكَ من مَوضوعِ الأغنامِ وآستمعْ إليَّ . . لقد سألني المَلأُ من بني إسرائيلَ أن أَدعو الله أن يختارَ لهم ملكاً يُقاتِلونَ

تحت رايته في سبيل الله ، وقد دعوتُ الله فاختارك ملكاً على بني إسرائيلَ . . وعليكَ أن تُعِدَّ نفسكَ للقِتال .

سألَ طالوتُ : الله هو الذي اختارَني ؟

قال : نعم . .

قالَ طالوتُ وهو يَحسُّ بالسّعادةِ والرّهبةِ : أنا رهنُ إشارتِكَ . .

قال النبيُّ : غداً نُقابلُ رؤساءَ بني إسرائيلَ .

جاءَ الغدُ ، فاجتمَع رُؤساءُ بني إسرائيلَ واجتمَع معهم طالوتُ . .

وقالَ لهُم نبيُّهُم : إن الله قد بعثَ لكُم طالوتَ مَلكاً . .

وَبرزتْ عواملُ العِنادِ في نُفوسِ بني إسرائيلَ فقالوا : كيفَ يكونُ له المُلكُ ونحن أحقُّ بالمُلكِ منه ؟

سألَهم نبيُّهُم : لماذا تَتصوَّرونَ أنكُم أَحقُّ بالمُلكِ منه ؟

قالَ الرؤساءُ : نحن أغنىٰ كثيراً منه . . أنظرْ إليه . . إنه يَرتدي ملابسَ الرُّعاةِ الفقيرةِ . .

قال النبي : ليستِ العِبرةُ في حُكمِ الشُّعوبِ بالغِنى أو الفَقر ، العِبرةُ بالقُدرة على قِيادةِ الشُّعوب ، إن طالوتَ هو اختيارُ الله تعالىٰ لَكُم ، وقد اختارَه الله تعالىٰ لِعِلمِه وقُدرَتِه .

عادَ رؤساءُ بني إسرائيلَ يَقولونَ : نحن نُصدِّقُك أيها النبيُّ ، ولكن كيفَ نَنسى أننا نحن شُرفاءُ هذه الأمَّة وسادتُها ؟ فكيف تَجاهَلنا الله واختارَه هو ؟

قالَ النبيُّ : ليس لِمثلي أَن يسألَ الله لماذا ؟ إن الأنبياءَ لا يَسألونَ وإنما يَستمِعون ويُطيعونَ . . وهذا هو

آختيارُ الله له . .

قال سادةُ بني إسـرائيلَ : أنتَ تسـدُّ عَلينـا بابَ الحِـوارِ أيّهـا النبيُّ . . نحن نُريدُ أن نَعرفَ لماذا آختيرَ طالوتُ ملكاً علينـا . . إن طـالـوتَ فقيـرٌ . . ومن الـرُّعـاةِ . . ليس من عـائِلةٍ كبيـرَة ولا تاريخَ له في الحرب ولا في الحُكم ولا في السِّيـاسـةِ . . أليس من حقِّنـا أن نسأَلَ لماذا فَضَّلَه الله علينا ؟

قـال النبيُّ : عِلمُه هـو الـذي فضَّلَه عليكُم . . لقـد آتـاهُ الله بَسـطةً في العِلمِ والجِسمِ . .

قال سادةُ بني إسرائيلَ : إنّ فينـا من هو أقوى منه جَسداً وأكثَر منه عِلماً . .

قـال النبيُّ : أيُّهـا السَّـادة . . لقد أَفهمتُكُم أكثَـر من مـرةٍ أن العِبـرةَ في الحُكم بِقُـدرةِ الحـاكِم عـلى قِيـادةِ الشعبِ ، ولقـد حـدَّثتكُم أن آختيـارَه للمُلكِ جـاءَ من الله . . وليس لـي أن أسألَ الله لماذا آختـارَه للمُلك . . لعله آختارَه لِيبتَليه . . من يَدري ؟ إن أحداً لا يعـرفُ أَسـرارَ الله وحِكمتَـه فـي خَلقِه .



قال سادةُ بني إسرائيلَ : كيف نتأكَّدُ أن الله هـو الـذي آختـارَه لنـا ؟ نُـريـدُ مُعجِزةً تُثبتُ صدقَه .

قالَ نبيُّهم : آذهبوا إلى المَعبـدِ غداً فسـوف تَقعُ المُعجـزةُ ويأْتيكُم تـابـوتُ العهدِ .

آحتَشدَ خلقٌ هائلٌ من بني إسرائيـلَ في اليـومِ التّـالي آنتِـظاراً لـوُقـوعِ المُعجِـزةِ . . كان تـابوتُ العهـدِ يَضُمُّ بَعضَ أَلـواحِ التـوراةِ التي أُنـزلتْ على موسىٰ ، كما كان فيه بعضُ آثـارٍ تَركَهـا موسىٰ وهارُون . . وكـان هذا التـابوتُ

قد سُلِبَ منهم وآستولى عليه عَدُوُّهم . .

وقفَ الناسُ يَنتظِرونَ وُقوعَ المُعجِزَةِ . . وفي الوقتِ الذي حدَّدهُ نبيُّهم فُوجِئوا أن التابوتَ يَعودُ إلى مكانِه في المَعبد ، حَملتهُ الملائِكَةُ وَوضَعتهُ في مكانِه وسطَ دهشةِ الناسِ وآنبهارِهم . . لم يَروا المَلائكةَ ولكنّهم رأوا تابوتَ العَهدِ يَسبحُ بِبطءٍ وجَلالٍ إلى مكانِهِ في المَعبدِ .

وأحسَّ الناسُ بالسَّكينةِ وآطمأنّوا لاختيارِ طالوتَ ملِكاً عليهم . .

وهكذا أصبحَ طالوتُ ملِكاً على قومِه . .

قَدَّم الناسُ له فروضَ الطّاعةِ في حفلٍ كبيرٍ وآنتظَروا أوامِرَه . .

كان أولُ أمرٍ أصدَره طالوتُ أن يَبدأ تكوينَ جيشٍ قويٍ يتدربُ على القِتال . .

أرسلَ طالوتُ في كلِّ قُرى بني إسرائيلَ يدعوُ الشبابَ القادرَ على حملِ السلاحِ إلى الحرب . . آنضمَّ إلى الجَيشِ جَمعٌ كثيرٌ من الشبابِ والرجالِ . . وبدأتْ مصانعُ الدُّروعِ والأسلحةِ تَعملُ ، وبدأَ التدريبُ على آستِخدامِ الأسلحةِ . .

كان طالوتُ يعرفُ أَن الحربَ تَعني تَوظيفُ كلّ قُوةِ الشعبِ وقِيادتِه لِهدفٍ واحدٍ . . هو النصرُ العسكريُّ . . وكان يعرفُ أن الحُروبَ تَقتضي نَفَقاتٍ كثيرةً وآستِعداداتٍ ضخمةً .

إن الحربَ هي السِّلاحُ والإنسانُ الذي يَستخدِمُه . لا بدَّ من توفيرِ السِّلاح إذاً . .

وبدَأ طالوتُ في تَوجيهِ كلِّ قُوةِ قَومِهِ

لِصناعةِ الأسلحةِ ، وكان يرقُبُ بنفسِه حظَّ الأسلحةِ من القُوةِ والصَّلابةِ ، وكان يَمتحِنُها بنفسِه ويُشرفُ على التَّدريب شَخصيّاً .

واستمرَّ صُنعُ السلاحِ والتَّدريبِ فترةً طَويلةً ، حتى اطمأنَّ طالوتُ لِسلاح قومِه . .

كان عدوُّهم هو جالوتَ ، وكان جالوتُ قائِداً عَظيماً لم يَهزِمْهُ أحدٌ . . وكانَ يَتبعُه جيشٌ هائِلٌ لا نِهايةَ لِجُنودِه ولا مثيلَ لأسلحَتِه في القُوةِ . . وكانَ جالوتُ يُشبِهُ إعصاراً مُدمِّراً لا يُقاوِمُه أحَدٌ .

كان طالوتُ حَكيماً فأدركَ أن جَوهَر النَّصرِ لا يكمُن في قُوةِ السلاحِ بقدرِ ما يَخضَعُ لِقُوةِ الإرادةِ ، أدركَ أن الغَلَبةَ ليستْ بأعدادِ الجُنودِ إنما بصلابةِ العَزيمة . . وهكذا اطمأنَّ طالوتُ لِقُوةِ الجيشِ ، ولكنّه لم يكُن قد اطمأنَّ بعد لِقُوةِ الرُّوحِ المَعنويّةِ عند الجُنودِ والقادةِ . .

ولهذا قرَّرَ أن يَمتحنَ هذا الجيشَ قبلَ أن يَخوضَ به المعركةَ الحاسِمةَ مع عدوِّهم جالوت . .

وأمر طالوتُ جيشَه أن يسيرَ وسطَ صحراءٍ مُحرقةٍ . .

ظلَّ الجيشُ يسيرُ أيّاماً ولياليَ وسطَ هذه الصحراءِ حتى بلغَ العطشُ بالرجالِ كلَّ مَبلغٍ . .

وانتهى كلُّ الماءِ الذي يَحمِلُه الجُنودُ والضُّباطُ . .

كانت نِهايةُ الرِّحلةِ في الصحراءِ قد اقتربَت ، وكان طالوتُ يعرفُ أن هناكَ نَهراً قَريباً ماؤُه شديدُ العُذوبةِ ، وقرَّر طالوتُ أن يكونَ هذا النهرُ هو أولَ

آمتحانٍ عمليّ لجيشِه . .

جمعَ طالوتُ قادةَ الجُندِ والألوِيـة وقـال لهُم : نَقتربُ الآن من نهـرٍ سوفَ يَعبُـرهُ الجيشُ . . لا تَشربـوا مِن هـذا النهرِ . . بلِّلوا شِفاهَكُم وأيديَكُم بالماءِ فقط . .

قـال قـادةُ الجُنـدِ : لكن الجيشَ يحسُّ بالعَطشِ . .

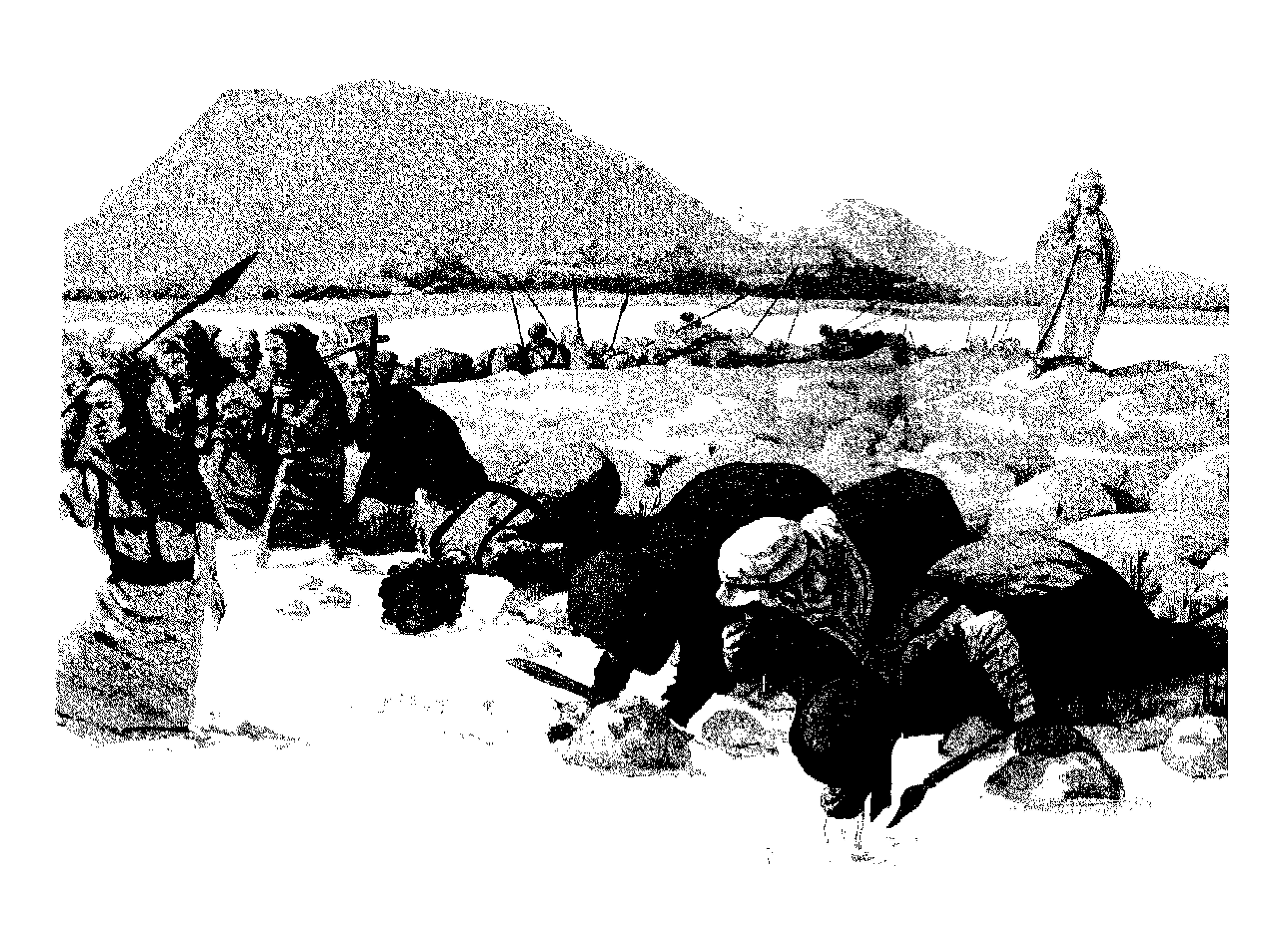
قـال طالـوتُ : من يشربُ من هـذا النهــرِ فليسَ منِّي . . إلا من آغتـرفَ غـرفـةً بيـدهِ . . ومن يشـربُ من النهرِ فَلينسحـبْ من الـجيشِ . . آعـلمُـوا أن الله يراكُم .

آنقُلوا أوامِري للجُنودِ وتَهيّـأوا لعبورِ النهرِ . .

نَقـلَ القادةُ والضُّبـاطُ أوامرَ طـالوتَ للجُنودِ ، وبدأ الجيشُ يعبرُ النهرَ . .

كـانَ الامتحانُ قـاسِياً . . فـالـدُّنيـا شَـديـدةُ الحَــرارةِ ، والمـاءُ عــذبٌ وباردٌ . . والإغراءُ قويٌّ . .

وشربَ مُعظمُ الجنُـودِ من النهرِ ولم يَستطيعوا مُقاومةَ الإغراءِ . .



آنتهى عبورُ الجيشِ للنهرِ . .

أَخرجَ طالوتُ كلَّ من عصىٰ أوامـرَه وشربَ من النهرِ . .

كـان الجيشُ كبيـراً قبـلَ أن يعبُـرَ النهرَ ، ولكنّه بعـدَ عُبورِ النهـرِ وخُروجِ من خرج منه تغيرَ تماماً . .

آنـكـمَش الـجـيشُ إلـى أقــلّ مـن النِّصفِ . .

قـالَ قادةُ الجيشِ لطالـوت : لقـد آنكمشَ عَددُنا كثيـراً . . فكيفَ نقاتلُ جيشَ جالوتَ الهائلِ بهذا العددِ القليلِ ؟

قـالَ طـالـوتُ : ليست العبرةُ في

القِتالِ بعددِ المُقاتلين، المُهم إرادتُهم .

قـالَ القـادةُ : لقـد خـرجَ مُعـظمُ الجيشِ . . ولم يبقَ سِوى القليل .

قـالَ طالـوتُ : بل بقيَ الكثيـرُ . . لقد خـرجَ غيـرُ المُخلصينَ . . وبقيَ المُخلصـونَ الصَّابـرونَ . . والصبرُ طريقُ النصرِ وأداتِه . .

وآنخَـرط الجيشُ في حوارٍ حـولَ ما فعلهُ طالوتُ . .

قـال أحدُ الجُنـودِ : لو أن طـالـوتَ تَركنا نشربُ من النهرِ لزادَ عددَنـا ونحن نُحاربُ جالوتَ . .

قالَ ضابطٌ في الجيشِ : إن العـددَ لا يكسبُ الحربَ أبداً . .

تسـاءَلَ الجُندي : مـا الذي يُكسِبُ الحروبَ إذن ؟



قـال الضـابطُ : شيءٌ لـيس هـو السلاحُ ، وإن كـان السلاحُ مُهمـاً ، وشيءٌ ليس ظـاهِراً وإنمـا هو خفيٌّ . . شيءٌ يُسمُّـونَـه الـرُّوح . . . أو إصـرارُ الـروحِ على الكسبِ . إن الجُنـديَّ الذي لا يَستطيعُ الصّبرَ على العطشِ لا يستـطيعُ الصبرَ على حرارةِ المعـركـةِ وعَـطشِها . . والجُنـدي الذي لا يتبـعُ أوامِـر قـائِـدِه يُمكنُ أن يُؤدِّي لإربـاكِ الجيشِ كُلهِ في المعركةِ .

لقـدَ خـرجَ من الجيشِ ضعـافُ الـروحِ . . وبَقيَ الأقـويـاءُ . . وغـداً نَرى مَا نفعلهُ مع جَالوت . .

وشـاعَ الإيمـانُ العميقُ في الجيشِ وقـالَ المُؤمنـونُ : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَـةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَـةً كَثِيرَةً بِـإِذْنِ ٱللهِ وَٱللهُ مَـعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ
لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ
أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا
وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ
بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ
قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً
مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ
وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ
ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ
مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ۝ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ
فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ
غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ
أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ
مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ